كتاب المؤتمر (١)

الندوة الدولية - ١ - ٢٠١٥

(اللغة العربية وآدابها: نظرة معاصرة)

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد بشير (المسؤول)

نائب رئيس التحرير

الدكتور تاج الدين المناني

مساعد رئيس التحرير

السيد نوشاد

قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا

ترفاندرم، كيرالا، الهند

Seminar Proceedings (1)

International Seminar - I - 2015
(Arabic Language and Literature: A Contemporary View)

Book & cover design: Nujumudeen
Printed at Akshara Offset, Thiruvananthapuram
Published by Dr. Mohammed Basheer K

₹ 300.00

Contact for copies: 04712 308846 / campusarabic@gmail.com

محتويات

معالم التلاقي بين ابن جني والاتجاهات اللغوية الحديثة

دراسة في توظيف السياق في الدرس اللغوي العربي القديم

د. الصادق محمد آدم سليمان
جامعة النيل الأزرق – كلية التربية- قسم اللغة العربية.
sadig777@yahoo.com

ملخص

الهدف من هذه الدراسة هو تبيين وتوضيح معالم التلاقي بين ابن جني والاتجاهات اللغوية الحديثة وهي دراسة في توظيف السياق في الدرس اللغوي العربي القديم، حيث رأي الباحث من خلال اطلائه على مصنفات هذا العالم نوعا من التقارب بينه وبين الاتجاهات الحديثة التي تعاملت مع النص اللغوي، حيث اتفق الاثنان في فهمهم للنص على ضرورة مراعاة السياق بأنواعه المختلفة.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تحاول إيجاد نقاط التلاقي بين الاتجاهات الحديثة والاتجاهات القديمة في الدرس العربي من خلال تعامل هذا العالم الجليل ابن جني مع النص لفهمه واستخراج مكنونه. وبإتباع المنهج الوصفي والتحليلي وصلتْ الدراسة إلى مبتغاها وهو أن ابن جني يعتبر رائدا في دراسة اللغة على أساس المنهج السياقي وأنه أول المساهمين في تأسيس نظرية السياق التي يتباهى بها الآن علماء الغرب.

Summary of the study

The aim of this study was to identify and clarify the parameters of convergence between the Ibn Giny and trends modern linguistic a study in the recruitment context in the lesson linguistic old Arab, where the view finder through Atalaúh works, this world is a kind of rapprochement between him and the modern trends that dealt with the text language, where the two agreed in their understanding of the text on the necessity of taking into account the context of various types.

The importance of this study lies in that they are trying to find points of convergence between recent trends and trends in the old lesson of the Arab world through this deal Galilee Ibn Giny with text to understand and extract hidden. And by following the descriptive and analytical study reached its goal which is that I'm taking is considered a pioneer in the study of language based on the contextual approach and it was the first contributor to the establishment of the theory of the context in which it now boasts of Western scientists.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم... وبعد:

لم يقتصر ابن جني في عمله علي النظر في بنية النص اللغوي، كما لو كان شكلاً منعزلاً عن العوامل الخارجية التي تلفه وتحيط به، كما يفصل البنيويون أو الشكلانيون أو التحويليون، من الدارسين في العصر الحديث، وإنما أخذ مادته اللغوية – علي ما يبدو – من معالجته لها، علي أنها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه، والذي قد تتغير صوره بتغير هذا المحيط وتلك الظروف كما فطن إلي أنّ الكلام له وظيفة ومعني، في عملية التواصل الاجتماعي، وأنّ هذه الوظيفة، وذلك المعني لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيه من شخوص وأحداث.

فسلك هذا العالم التحليل والتقعيد لإبراز دلالة النص، مسلك اللغويين الاجتماعيين، ليكشف عن الحقائق اللغوية في إطار المجتمع وما ينتظمه من ثقافات وأنماط سلوك، وفقاً للبيئة الخاصة أو الحرفة أو الصنعة، أو الموقع الاجتماعي، وذلك المسلك هو ما يعرف الآن بالبحث الميداني[١].

وقد اعتمدنا في طريقته ومنهجيته في معالجته لنصوص اللغة على محاور أربعة هي:

المحور الأول: السياق في الدرس الصوتي.

المحور الثاني: السياق في الدرس الصرفي.

المحور الثالث: السياق في الدرس النحوي.

المحور الرابع: السياق الحالي أو المقامي.

المحور الأول

السياق الصوتي عند ابن جني

تعريف السياق الصوتي

السياق الصوتي هو سبك الأصوات بعضها إلى بعض في تأليف دقيق، فتجري في سلاسة وعزوبة كالجداول، لا تعثر ولا كلفة ولا حوش في اللفظ ولا زيادة، ولا فضول[٢].

وقد لاحظ اللغويون منذ القدم عند النظر في تأليف الكلمة العربية، أنه إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة، يجب أن تسير في سياق صوتي معين، وقد اهتم العلماء بمباحث السياق كاهتمامهم بمباحث اللفظ. ومن خلال تتبعهم للسياق الصوتي وإفادتهم منه، وجدناهم ينظرون إليه من خلال مستويين هما: مستوى المفردة؛ ومستوى التركيب. ولعل أهم طرح في ذلك ما بثه ابن جني في كتابه «سر صناعة الإعراب» إذ تناوله بنوع من التأسيس[٣].

فالسياق هو الفيصل في وصف اللفظة بالسهولة أو الصعوبة، بالخفة أو الثقل، وليس المخرج النطقي أو كمية الأصوات المشكلة للبنية. يقول العلوي: «... الاستكراه إنما يعرض من أجل التأليف لما يحصل بسببه من التنافر والثقل، ولأجل هذا كانت العناية في أحكام التركيب والتأليف، لأنه ربما حصل على وجه يفيد ثقلاً وتعثراً في اللسان فيكون قبيحاً، فإذاً العناية كلها في التركيب[٤]، أي في السياق.

والمقصود بالسياق الصوتي التحولات التي تطرأ على الصوت اللغوي فتفقده بعض خصائصه، أو تكسبه خصائص أخرى. وقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ هذه التغييرات تتم بمقتضى قانون الصوت الأظهر، وهو الذي يكون فيه قدرٌ من الخصائص التي تجعله أقوى من غيره من الأصوات، فعند مجاورة الأضعف للأقوى يخسر الأضعف بعض خصائصه، وقد يختفي اختفاءً كاملاً، ليظهر الصوت الأقوى بدلاً منه، وقد يحدث العكس فقد يؤثر الصوت الأضعف في الأقوى، وقد يتطور الصوت من الضعف إلى القوة، ومن السهولة إلى الصعوبة، وهذه الظاهرة يمكن إثباتها في كثير من اللغات[٥].

ولتجاور الحروف في اللغة مظهران يدعو كل منهما إلى الانسجام الصوتي، أحدهما يسمى المماثلة والآخر يسمى المخالفة، فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجاً وصفة، سهل نطقها وتحققت السلاسة والانسجام، فلا يتناول التغيير شيئا منها، أمّا إذا كانت متنافرة في ذلك، فإنّ جهاز النطق يتعثر في التفوه بها، وهنا يلزم نوع من التغيير في بعض تلك الأصوات ليمكن النطق دون معاناة أو نفور.

فإذا كان النطق بالمتجاورين أمراً صعباً يستلزم جهداً كبيراً، لجأ صاحب اللغة إلى الطريقة المؤدية إلى السهولة بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع صاحبه صوتياً، ويسمى ذلك بالمماثلة وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة غير أنّ اللغات تختلف في نسبة التأثر ونوعه[٦].

وفي الوقت الذي تدعو فيه أحوال لغوية سياقية معينة الأصوات المتخالفة إلى التماثل ليتحقق الانسجام الصوتي بينهما، تدعو أحوال لغوية أخرى الأصوات المتماثلة إلى التخالف ليتحقق الانسجام الصوتي أيضاً. فكما أنّ المماثلة هي تقريب صوت من صوت، فالمخالفة هي تحويل أحد المتماثلين إلى صوت آخر منعاً للثقل وتحقيقاً للانسجام[٧].

ويقول علماء اللغة المحدثون: إنّ المماثلة تقلل من الخلافات بين الفونيمات ذلك التفريق الذي لا غنى عنه للتفاهم، ولذا فإنّ عامل المؤآلفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها ولإبراز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية[٨]. وظاهرة المخالفة موجودة في كل اللغات، وقد شاعت في كثير من اللغات السامية[٩]، وقد لاحظها القدماء في العربية، وأشار إليها سيبويه في باب» ما شذ فأبدل مكان اللام ياءً كراهية التضعيف» ومثّل لها بقولهم «تسريت، تظنيت، تقصيت» وأصلها:» تسررت وتظننت، وتقصصت»[١٠].

ونبّه ابن جني أيضاً على استثقالهم المثْلَين حتى قلبوا أحدهما في نحو: أمليت وأصلها أمللت[١١].

فعلي دارس اللغة - إذاً - أن ينظر إلي الأصوات في جميع سياقاتها النطقية، وذلك لأنّ الصفات والخصائص الصوتية معرضة في الكلام المنطوق للتغيير بدرجات متفاوتة بتأثير المجاورة. فنحن حين نصف صوتاً معيناً بأنه مجهور فإنّ ذلك مبني علي ملاحظة أحوال ذلك الصوت الغالبة، وإلاّ فمن المحتمل أن يأتي في بعض المواقع في السلسلة الكلامية المنطوقة مهموساً، وكذلك حين نصف صوتاً بأنّه مرقق فإنّ ذلك لا يعني أنّه لا يلحقه التفخيم مطلقاً. لذلك يجب أن ننظر إلي الأصوات في سياقها لتقعيد الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب وبيان التأثر والتأثير بين الأصوات عندما تكون في سياق، أي في كلام متصل.

دراسة السياق الصوتي عند ابن جني

لم تغب ظاهرة السياق الصوتي عند علماء العربية القدماء في متونهم، فقد تصدى لها طائفة منهم، ولعل أهم طرح في ذلك ما بثّه ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب إذ تناوله بنحو من التأسيس واضعاً له مصطلحات عدة منها: التركب والمجاورة، والتأليف والاجتماع، والمزج ؛ فتطرق إلى السياق الصوتي من زاوية الخفة والثقل مستنداً على ترتيب سياق البنية ونوعية أصوات تلك البنية، ومَثّل لذلك بكلمة (مستشرزات)[١٢] وأنّ ثقل أبنيتها لا يعود إلى عدد أصوات البنية، بل إلى نوعية الأصوات وترتيبها داخل السياق، فلو استبدلنا بهذا الصوغ صوغاً آخر مشكلاً من أصوات مختلفة وبترتيب سياقي مختلف، لانتفى حكم الثقل وحل محله الخفة كقولنا «مستنكرات» و«مستنفرات»[١٣].

وكان ابن جني قد استخدم مصطلح الإدغام الأصغر ويريد به « تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه؛ وقد مثل له بتقريب السين من الصاد في نحو «سقتُ»، وبتقريب الصاد من الزاي؛ في نحو «مصدر». كما استخدم ابن جني مصطلح الإدغام الأكبر، وهو يريد به ما سماه علماء التجويد بالإدغام الصغير الذي يقلب فيه الحرف الأول إلى مثل الحرف الذي يليه ويدغم فيه».[١٤].

وهذا لاستخدام لهذه المصطلحات خاص بابن جني، ولم نجد له صدى عن علماء العربية ولا علماء التجويد.

مجالات توظيف السياق الصوتي عند ابن جني

توظيفه في ظاهرة الإدغام:

الإدغام لغة هو إدخال اللجام في أفواه الدواب[١٥] واصطلاحاً: « أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل»[١٦]، وهو ضرب من المماثلة وتخفيف

للجهد العضلي الذي يبذله المتكلم، لأنه « تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه»[١٧]» كراهة اجتماع مثلين متحركين»[١٨].

فالإدغام ظاهرة موقعية سياقية، ترتبط بمواقع محددة يلتقي في كل منها صوتان، السابق منهما ساكن والتالي متحرك، فإذا تحققت صفات خاصة في الصوتين جميعاً تحققت بذلك ظاهرة الإدغام[١٩]. ومعناها أنك تنطق بحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً، وإدغام الأصوات بشتى صورها وسيلة من وسائل تيسير النطق والاقتصاد في الجهد العضلي.

ولقد اهتم القدماء بهذه الظاهرة وجعلها سيبويه مناط دراسته للأصوات العربية كلها[٢٠]، ووضع لها عللاً وأصولاً ترجع في النهاية إلى ظاهرة كراهية التقاء الأضداد والأمثال، التي تسيطر على الذوق العربي والصوغ السياقي فقال: «كلما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن»[٢١].

ويعد ابن جني أفضل من درس هذه الظاهرة السياقية من اللغويين القدماء وهي عنده: « تقريب صوت من صوت وإدناؤه منه»[٢٢].

توظيفه في ظاهرة التنغيم:

التنغيم: تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة، أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة[٢٣].

جاء في كتاب الخصائص لابن جني ما يشير إلى التفاتته إلى التنغيم في قوله:» وذلك أن تكون في مدح إنسان أو الثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا. فتزيد في قوة اللفظ، وتتمكن من تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً ونحو ذلك[٢٤].

ومن الغريب ألا تلقى هذه الظاهرة من الدراسة اهتماماً عند القدماء، مع وجودها في الاستعمال اللغوي في النثر والشعر، حتى في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾[٢٥]، والتقدير أتمنها عليّ؟، بحذف الهمزة ؛ وهو قول الأخفش[٢٦].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾[٢٧]، والتقدير أهذا ربي؟[٢٨] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾[٢٩]، والتقدير: أَتُلْقُونَ؟، استفهام إنكاري، حيث حذفت الهمزة واكتفيَ بالتنغيم لإظهار الاستفهام.

وقد ورد التنغيم في الشعر أيضاً، فقد ذكر ابن هشام بيتين لعمر بن ربيعة هما:

فوا لله ما أدري وإن كنت دارياً
بسبع رمين الجمر أم بثمان

أراد أبسبع، وبيته الآخر:

ثم قالوا تحبها قلت بهراً
عدد الرمل والحصى والتراب

قيل: أراد أتحبها ؟ وقيل إنه خبر، أي: أنت تحبها[٣٠]. وأورد بيتين آخرين أحدهما للكميت وهو:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب
ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

أراد: أذو الشيب. والبيت الآخر للمتنبئ وهو:

أحيا وأيسر ما لاقيت ما قتلا
والبين جار على ضعفي وما عدلا

مشيرا إلى معنى الاستفهام في جملة «أحيا».والتقدير: أأحيا؟

وهذه الأمثلة القرآنية والشعرية تؤكد وجود التنغيم في الاستعمال اللغوي الأدبي، وهو يحمل وظيفة دلالية، كما يتضح من الأمثلة السابقة.

واللغة العربية من اللغات التي توظف التنغيم في التعبير عن الحالات النفسية، كالرضا والغضب، والتعجب والاستنكار، والاحترام، كما توظفه في التعبير عن بعض المعاني العامة النحوية، كالاستفهام والتعجب والنفي والإثبات، فلكل من هذه المعاني تنغيمه الخاص، لذا ينظر المرء بشيء من الشك إلى قصة أبي الأسود الدؤلي مع ابنته التي قالت متعجبة: ما أحسنُ السماءِ

« بضم نون أحسن، وكسر همزة السماء» فقال مجيباً: نجومها، ظناً منه أنها تستفهم، لأن الضبط الإعرابي يشير إلى الاستفهام(٣١). ويُروى أنها أفادته بأنها متعجبة، فقال لها: قولي ما أحسنَ السماءَ، بالفتح. والذي يميل إليه الباحث أن دور القرينة الصوتية المتمثلة في التنغيم في التعبير عن التعجب أو الاستفهام أبرز وأهم من دور الحركات الإعرابية في هذا السياق؛ لذا ينظر المرء بشيء من الشك في عدم اهتداء أبي الأسود الدؤلي إلى مراد ابنته، ما لم يكن قد تغافل قاصداً عن مرادها الحقيقي ليبين لها لحنها في الحركة الإعرابية.

وتبين دلالة التركيب عن طريق أداء التركيب صوتياً، وتتابع النغمات الموسيقية والإيقاعات في حدث كلامي معين، وهو الإطار الصوتي الذي تؤدى به الجملة في السياق أو الأداء الموسيقي للكلام ومستواه من ناحية الاعتدال والارتفاع والانخفاض أو التنوع(٣٢) ومثال ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٣٣)؛ فهذا لوم وتوبيخ، وإن أقروا بقولهم: نعم وهو المستفاد من الأداء وسياق الحال.

توظيفه في ظاهرة النبر:

عندما يمارس المرء لغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله أوضح في السمع من المقاطع الأخرى، قال ابن الأنباري:» النبرعند العرب ارتفاع الصوت» (٣٤) فالنبر- إذاً- نشاط ذاتي للمتكلم ينجم عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع قياساً لما يحيط به»(٣٥).

وقد درج اللغويون على تسمية هذه الظاهرة بالارتكاز حيناً(٣٦)، وبالضغط حيناً آخر(٣٧) وبالنبر أحياناً كثيرة، لذا فقط عرفت اللغة العربية ظاهرة النبر، وعبرت عنه بمسميات مختلفة منها: الهمز، العلو، الرفع، مطل الحركات، الارتكاز، الإشباع، المد، التضعيف، وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعاً للسياق، وبروز القيم الاستدلالية في النص(٣٨).

يقول ابن جني: « حكي الفراء عنهم: أكلت لحما شاة أراد لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ ألفا(٣٩). فالمطل عند ابن جني فيما ورد هو زيادة قوة الارتكاز، بالإشباع أو التضعيف.

وقد سماه المحدثون بالنبر السياقي، كما سموه بالنبر الدلالي، ونبر الجملة(٤٠).

ونظام النبر يصادف بعض المشكلات في التطبيق، وتأتي حلول هذه المشكلات في صورة حل صوتي للمشكلة، هو اختلاف في البنية المقطعية بين ما قررته القاعدة وما تطلبه سياق الكلام(٤١).

وللنبر في العربية وظيفة تتمثل بتحديد معنى عام في الجملة، كالتوكيد أو التقرير، وليس له فيها دور في تحديد المعنى الصرفي، أو المعجمي للكلمة(٤٢). ومما قاله ابن سيناء في ذلك: « إن النبرة قد تجعل الخبر استفهاماً، والاستفهام تعجباً، وغير ذلك»(٤٣). ويمكن إدراك ذلك في الآيات القرآنية التالية:

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾(٤٤) بالضغط على كلمة «ذق» وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾(٤٥) بالنبر على كلمة «بالحق» وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾(٤٦) بالضغط على كلمة « تَسْتَهْزِئُونَ» و قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٤٧) بالضغط على كلمة « لَأَقْعُدَنَّ «. وفي اختلاف العلماء في تفسير مقولة « إن لنا لإبلا «(٤٨) يمكن أن نصف هذه العبارة بأنها مجردة من المعطيات السياقية، ومن الظواهر الصوتية الإضافية، ومن قرائن حالية أخرى لا تدل على تكثير، ولا على تقليل، ولكنها إذا وقعت في سياق الفخر مثلاً كأن يقول أحدهم مفتخراً: إن لي لإبلاً، بإضافات نبرية واضحة على كلمة «إبلا» وبأسارير وجه متهللة ومنبسطة، دل ذلك كله أن هذه الإبل كثيرة.

توظيف السياق في درس الدلالة الصوتية عند ابن جني

الدلالة الصوتية هي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات في عبارة ما، وقد سبق القدماء من المسلمين إلي كشف هذه الدلالة(٤٩). وهي إمّا ذات دلالة وظيفية

مطردة، أو دلالة صوتية غير مطردة.

والدلالة الصوتية نجدها عند ابن جني تحت اسم الدلالة اللفظية، حيث يقول: « اعلم أنّ كل واحد من هذه الدلائل معتمد مراعي مؤثر، إلا أنهّا في القوة والضعف علي ثلاثة مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية»[٥٠]. أي: أنّ كل دلالة لها دورها في أداء المعني؛ لذلك نعتد بكل دلالة ونراعيها عند استخلاص المعني الدلالي، ولا يمكن الاستغناء عن أي مستوي من هذه المستويات الثلاثة.

ثم يتابع قائلا: « ألا تري إلي «قام» ودلالة لفظه علي مصدره»[٥١]. أي: أنّ قام بحروفها أو وحداتها الصوتية تدل علي القيام، بمعني أنّنا وقفنا علي الحدث من خلال لفظ الفعل، وهكذا كل فعل بأصواته يؤدي معني الحدث، « فالضرب والقتل نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما»[٥٢]. أي: أنّ كل واحد منهما يدل علي حدث مغاير للآخر تبعا لاختلاف لفظيهما، أي: أصواتهما.

وهناك دلالة صوتية أخري مطردة، تعتمد علي ما يسمي في التحليل الفونيمي، بالفونيمات غير التركيبة «phonemes suprasegmental »، أو ما يسمي» prosodies»، أو الظواهر التطريزية، وهي الملامح الصوتية التي تصاحب الكلمات المتصلة، أو الجمل فتؤدي وظيفة دلالية، وأهم هذه الملامح الدلالية: النبر «stress »، والتنغيم»intonation «. وهما قرينتان صوتيتان تستفادان من دراسة اللغة المنطوقة، والعرب القدماء كانت بحوثهم حول نصوص لغوية مكتوبة – غالباً – ومع ذلك فقد أدركوا تينكم الظاهرتين، ولكنهم لم يذكروا مصطلحيهما صراحة، بل قالوا مثلاً: «لا يجوز حذف همزة الاستفهام إلا إذا فُهم المعني ودل عليه دليل»[٥٣]. فقولهم هذا يؤكد التفاتهم إلي السياق، أي: القرائن اللفظية.. وبما أنّ التراث العربي وصل إلي اللغويين مكتوباً، وهو فاقد لعنصري النبر والتنغيم إلا أنّ سياق العبارة لا بد أنّه قد رد كثيراً من الجوانب المفقودة في النص، مثل قول الكميت[٥٤]:

طربت وما شوقاً إلي البيض أطرب ولا لعباً مني، وذو الشيب يلعب

فقد فهم اللغويون الاستفهام، بلا وجود قرينة ملفوظة دالة عليه في البيت السابق، علي الرغم من أنهم بحثوه مكتوباً لا منطوقاً مسموعاً، وهذا يدل علي إحساسهم المرهف. كما أنّهم لو لم يحملوه علي الاستفهام، لوقعوا في تناقض في المعني، لأنّ المراد لا يحتمل غير ذلك، وهذا بُعد آخر دل عليه السياق اللغوي.

المحور الثاني

السياق في الدرس الصرفي عند ابن جني

اللاصقة أو المورفيم [٥٥] morpheme: هو الأساس الذي يقوم عليه علم الصرف، وهو أصغر وحدة صرفية ذات معني تؤدي وظيفة علي مستوي التركيب[٥٦].

إنّ معني اللاصقة أو المورفيم – إذاً – هو القيمة التي تكون له في السياق المستعمل فيه، والارتباط بما حوله، إنّه الوظيفة الذي يؤديها.

وقد لاحظ ابن جني[٥٧] أنّ في كثير من الصيغ الصرفية فروقاً في الدلالة في حالة زيادة مورفيم في أول الصيغة، أو في وسطها، أو علي الجذر الأصلي. فالوزن الصرفي «فَعَلَ» في حالة إضافة مورفيم الهمزة في أوله، فإنه ينقله من فعل إرادي لازم إلي فعل غير إرادي متعدي. وإن زيد مورفيم الألف علي الصيغة نفسها، فإنها تصبح «فاعلا»، وفي هذا دلالة جديدة اكسبها صوت الألف – الصائت الطويل – إلي الصيغة التي تدل علي المشاركة في الفعل بين اثنين أو أكثر وليس من فعل واحد.

أمّا إذا زيد مورفيم آخر مقيد بدلالة التضعيف»فَعّل» فإنّه يكسب الصيغة الدلالة علي التكثير. وفي حالة إضافة مورفيمين مقيدين «تَفَعّل» فإنّهما يحملان دلالة التكثير المبالغ فيه «تَعلّم، تَكسّب».

هذه المورفيمات تمتد في مساحة بناء العربية الصرفي، وتتحرك في أدوار وظيفية متقنة، تجعل من العربية لغةً رفيعةً عاليةً[٥٨].

وقد استطاع ابن جني أن يدرك كثيراً من القيم الصرفية ذات الوظيفة الدلالية المطردة، التي تنمّ عن فهم عميق للتغيرات الصرفية التي تتعاور الكلمة من

أجل الأغراض الدلالية. ومن القيم الصرفية التي أدركها ابن جني ما يسمي في علم اللغة الحديث بالمورفيم أو دال النسبة»morpheme «، وقد أدرك ابن جني القيمة الدلالية للمورفيم قبل أن يدركها علم اللغة الحديث، فمثلاً: حروف المضارعة، وإن كانت تتساوي في إفادة الحال أو الاستقبال للفعل الذي تزاد عليه، فهي في نظره لها قيمة أخري، أي: لها وظيفة دلالية أخري، وهي الدلالة علي الفاعل، ف(اضرب) مثلاً: تعني أنّ الفاعل هو المتكلم مفرداً، بدليل وجود الهمزة، والنون في «نضرب»، دليل علي أنّ الفاعل جمع من المتكلمين، والتاء في «تضرب» دليل على أنّ الفاعل مفرد مؤنث غائب، أو مفرد مذكر مخاطب حسب السياق، والياء في « يضرب « تدل علي أنّ الفاعل مفرد مذكر غائب[٥٩]. وذلك واضح من قوله: « تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل إذ كن دلائل علي الفاعلين، من هم، وما هم، وكم عدتهم، نحو:» أفعل، ونفعل، وتفعل، ويفعل»[٦٠].

الدلالة الصرفية عند ابن جني:

تقوم هذه الدلالة علي ما تؤديه الأوزان الصرفية العربية وأبنيتها من معانٍ. والدرس الصرفي في العربية مقدمة للدرس النحوي. وهما متلازمان لا ينفصلان في الدرس اللغوي الحديث، لأنّ الصرف باهتمامه ببنية الكلمة إنمّا هو من أجل توظيفها في تركيب نحوي[٦١].

ومن المقرر بصورة بديهية أنّ لكل قسم من أقسام الكلام دلالة، فالاسم إذا كان مصدراً، يدل علي حدث، وإذا كان علماً، دل علي معين، والفعل يدل علي الحدث والزمن، والحرف أداة ربط بين الأساليب، كالشرط والاستفهام، أي: أنّها تقوم بوظيفة نحوية بربطها بين مفردات التركيب، أو بإقامة نوع من العلاقات في السياق.

كذلك نلاحظ في كثير من الصيغ الصرفية فروقاً في الدلالة بسبب زيادة مورفيم في أول الصيغة أو في وسطها علي الحروف الأصلية، أو علي الجذر الأصلي، فالوزن الصرفي « فعل « إذا زدنا الهمزة في أوله صار «افعل « وستختلف دلالتة، « فأدخل وأخرج» تجعل الفاعل مفعولاً[٦٢]، فإذا كانت «دخل « تفيد أنّ هناك من دفعه إلي الدخول، فزيادة الهمزة كان لها تأثيرا علي المعني الصرفي.

وأمّا ما جاء علي وزن «فاعل « أي: بزيادة الألف في الوسط، فانّه للدلالة علي المشاركة في الفعل بين اثنين فأكثر، لا من واحد، مثل: قاتل، شارك، ساهم، يقول ابن جني: «وأمّا (فاعل) فكونه من اثنين فصاعداً: ضارب زيدٌ عمراً، وشاتم جعفر بشراً»[٦٣].

وأمّا تضعيف العين في صيغة «فعّل « فقد يأتي للدلالة علي تكثير الفعل نحو: غلّق الأبواب، وقطّع الحبال « وكسّر الجرار وقد تزاد المورفيمات في الأفعال حشواً، أو كسوابق أو لواحق، ففي قوله تعالي: ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾[٦٤]. يقول ابن جني: « فعبّر عن لفظ الحسنة بكسب؛ وذلك لافتقار الحسنة إلي ثوابها، وجاء «اكتسبت « في السيئة تنفيراً عنها وتهويلاً وتشنيعاً بارتكابها»[٦٥].

وهكذا استطاع ابن جني أن يدرك أسرار هذه الزيادة وذلك التكرار، ويجعل منها مورفيمات ذات وظائف دلالية في إفادتها الكثرة والمبالغة في المعني ليناسب السياق وهناك أيضاً دلالة وظيفية للحركات لا تقل عن الحروف «السوابق واللواحق « في بيان الفروق الدلالية، ومن ذلك ما ساقه أبو الفتح في توجيه قراءة حسان بن عبد الرحمن، في قوله تعالي: ﴿ وكان بين ذلك قواما﴾[٦٦]، إذ يقول: « القَوام بفتح القاف، الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم: جارية حسنة القَوام، إذا كانت معتدلة الطول والخلق. وأما القِوام «بكسر القاف» فإنّه ملاك الأمر وعصامه. فكذلك قوله:» وكان بين ذلك قواما» أي: ملاكاً للأمر ونظاماً وعصاماً»[٦٧]. وقد أوضح هذا المثال الفرق الدلالي في كلمة واحدة مرة مستعملة مع مورفيم الكسرة، والأخرى مع مورفيم الفتحة. ومثل ذلك للدلالة علي المبالغة في المعني، ما بيّنه ابن جني من وظيفة دلالية لوجود (الهاء) في الصفات التي يتفق فيها المذكر والمؤنث، وتنبيهه علي أنّ هذه (الهاء) ليست مورفيماً لتأنيث الصفة لتوافق الموصوف، وإلا ما استطعنا أن نصف المذكر بهذه الصفة. وإنما هي مورفيم مستعمل لمعني آخر، وهو الدلالة علي المبالغة في الصفة، سواء

أكان الموصوف مذكراً أو مؤنثاً. فهو يعطي لمورفيم « الهاء «، قيمة صرفية دلالية في نحو قولنا: رجل نسّابة وامرأة نسّابة، ورجل علاّمة وامرأة علاّمة، ورجل فروقة وامرأة فروقة «[٦٨].

ومن ملاحظاته الدقيقة في الدلالة الصرفية أيضاً ما أشار إليه من أنّ مورفيم «الألف والتاء « في جمع المؤنث السالم يدل علي القلة، وذلك في توجيهه لقراءة طلحة: « فالصوالح قوانت حوافظ للغيب»[٦٩]. حيث يقول: « التكسير هنا أشبه بالمعني، وذلك أنّه إنّما يراد هنا معني الكثرة، لا صالحات من الثلاث إلي العشرة، ولفظ الكثرة أشبه بمعني الكثرة من لفظ القلة بمعني الكثرة، والألف والتاء موضوعتان للقلة «[٧٠].

وعليه يفضل ابن جني استعمال جمع التكسير للدلالة علي الكثرة، لا جمع المؤنث السالم؛ لأنّ مورفيم «الألف والتاء « فيه يقلل من دلالته العددية، إذ تدل في نظره علي الأعداد من ١- ٣ غالباً.

وهكذا ندرك أنّ للصيغ الصرفية بأوزانها وحركاتها لها دلالات وظيفية تنبع من تغيّر المورفيمات في داخل البنية الصرفية. وقد تنبه المحدثون مؤخراً إلي الدلالة الصرفية، وذكروا أنّها تستمد من الصيغ الصرفية[٧١].

المحور الثالث

السياق في الدرس النحوي عند ابن جني

السياق النحوي هو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة، من خلال القرائن النحوية، المعنوية منها كالإسناد، والتعدية واللفظية منها كالإعراب، والرتبة والمطابقة وغيرها.

فالجملة تشكل شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية، والتي تعتمد في وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق.

وعليه فقد خرج النحو من إطار الكلمة ووظيفتها في التركيب إلى نطاق السياق، بل امتد دور النحو في دراسة النص جميعه، فقد تخطى دور النحو الإعراب ومشكلاته على مستوى الكلمة، وتعداه إلى مستوى التركيب، وما يتعلق به من وظائف الكلمات والعلاقات المعنوية التي تربط مفرداته ومسائل نظم الكلام فيه[٧٢].

وقد استطاع ابن جني[٧٣] وعبد القاهر الجرجاني[٧٤] أن يكشفا العلاقات الداخلية بين المفردات التي يتألف منها التركيب، وجعل ابن جني المعني أساس صحة التركيب النحوي وقبوله، كما أنّ عبد القاهر رأي أنّ اللفظ مفرداً لا يشكل قيمة دلالية، ولا نستطيع تقييمه منفرداً بعيداً عن السياق اللغوي الذي ورد فيه، كما أنّ تأليف الكلام ونظمه علي قواعد النحو، ليس أساسا في صحة المعنى، بل الأساس هو اتساق التركيب في المعني مع قواعد التركيب.

فالتفاعل بين الكلمات، ووظائفها النحوية في الجملة تفاعل دلالي نحوي معاً، فبين الجانبين تعاون مشترك وتبادل تأثير[٧٥].

وهذه عودة إلى توظيف السياق في الدرس النحوي توظيفاً عملياً معاصراً يعتمد في دوره على الدلالة وما تؤديه من أغراض تواصلية في المجتمع.

وقد عد كثيرٌ من المحدثين ابتعاد النحو عن الدلالة في بعض الأمثلة الثغرة التي يدخل منها الحاقدون للطعن في قيمة النحو العربي حديثاً، فزعموا انه خال من المضمون مما جعله في نظرهم جسداً بلا روح.

والمضمون يعني ارتباط المعنى بالتركيب، وهي دعوة سبق إليها ابن جني وعبد القاهر الجرجاني، فالنحو عند عبد القاهر[٧٦] ليس هذا العلم الذي يبحث في ضبط أواخر الكلمات، ولا هو جملة القواعد الجافة، ولا هو ذلكم الشيء الذي لا مكان له في البلاغة ولا في الفن[٧٧] وإنّما النحو عنده العلم الذي يكشف لنا المعاني، وما المعاني هنا إلاّ الألوان النفيسة المتباينة التي ندركها من علاقات الكلام بعضه ببعض وفي سياقه الذي التحف به.

فدراسة النحو إذن ليست مسألة معرفة بقواعد النحو والصرف، وإنّما النحو معرفة معاني العبارات ووضعها موضعها، وفائدة هذه العبارة إذا جاءت على

هذا السياق أو ذاك، ومدى ما استطاعت أن تحققه من دلالات، فالقاعدة الواحدة لا تنتج دلالة واحدة في كل السياقات المستخدمة فيها، بل يختلف معناها من سياق إلى آخر(٧٨).

واستناداً على ما تقدم خلص علماء النحو المحدثون إلى أنّ المعنى النحوي لا يفسره الإعراب فقط؛ لأنّ الإعراب قرينة واحدة من مجموعة القرائن التي تتضافر لتوضيح المعنى(٧٩)، فالمعنى الدلالي الذي يستخلصه المرء من الكلام أشبه ما يكون بالمركب الكيماوي الذي تنحل فيه لتعطي شيئاً واحداً ليس فيه أجزاء متلاصقة أو أقسام متمايزة، بل فيه صورة جديدة تولدت من جماع ذلك كله.

إذن فقد أدرك القدماء أنّ فهم العناصر التركيبية يتوقف أحياناً على معرفة السياق، فأدخلوها في صميم القواعد ومن ثَمّ أصبحت قضايا السياق حاضرة في قواعد الأبواب وقواعد التوجيه. وإذا كانت معطيات السياق وطبيعة تشكل المعنى في ذهن المتلقي تؤثر في تحليل العناصر التركيبة، فإنّها تتمثل بأُسس تسهم مع غيرها في توجيه النص الوجه الذي يقتضيه.

فالتحليل النحوي يحتوي مجموعة من العناصر أو القرائن اللغوية، اللفظية، والمعنوية، والحالية، وأنّ هذه العناصر، تمثل علامات ودلائل تفهم إمّا من السياق context أو من المقام context of situation ويتضافر بعضها مع بعض لتوضيح المعنى النحوي. ولمّا كانت هذه العلامات والقرائن ذات أثر في التحليل النحوي فإنّ الدراسة سوف تتناولها بشيء من التفصيل في المساحة القادمة.

توظيف السياق في درس قرينة الرتبة

يشارك سياق الحال في تحديد أركان الجملة ودلالتها حتى مع عدم التزام الترتيب، يقول ابن جني: « أومأت إلى رجل وفرس فقلت: كلّم هذا هذا فلم يُجِبْه، لجعلتَ الفاعل والمفعول أيهما شئت؛ لأنّ في الحال بياناً لما تعني، وكذلك قولك: ولدت هذه هذه من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة غير منكورة(٨٠).

فالسياق الخارجي في الخطاب المنطوق يحدد الفاعل والمفعول وإن لم يراع المتكلم رتب التركيب.

توظيفه للسياق في درس قرينة الصيغة:

الصيغة قد تكون عاملاً من عوامل الكشف عن المعنى النحوي. و أنّ اعتماد العرب على دلالة السياق واتكاءهم عليه جعلهم لا يبالون أحياناً بالتباس بعض الصيغ، إذ اللبس مد فوع عندئذ بدلالة السياق على المقصود، يقول المازني: « وبعض العرب لا يبالي الالتباس فيقول: قد كيد زيد يفعل كذا وكذا، وما زيل يفعل كذا وكذا، يريدون كاد، وزال»(٨١).

وبناء(كيد) و (وزيل) من (كاد) و(زال) يلتبس بصيغة (فُعِل) المبنية للمجهول نحو: قيل وبيع، إلاّ أنهم فعلوا ذلك إتكاءً على دفع السياق لهذا اللبس، لأنّ (كاد) لا تستلزم بعدها اسما منصوباً على المفعولية ومن ثَمَّ فلا تُبنى للمجهول. ولذا قال ابن جني تعليقاً على «كيد وزيل:: «ولم يخافوا التباسه (بفُعِل)لأنك لا تقول: كدت زيداً يقوم، ومازلت زيداً يقوم، فيخاف أن يلتبس (كيد زيد يقوم، وما زيل زيد يقوم، ب(فُعِل) منه(٨٢).

وقد أكّد ابن جني أنّ السياق هو الذي يعول عليه لتحديد دلالة الصيغ أو الألفاظ الملبسة حيث يقول: « وهذا باب واسع جداً، وإنما يعتمد في تحديد الغرض فيه بما يصحب الكلام أو بدلالة الحال فإنّ لها في إفادة المعنى تأثيراً كبيراً، وأكثر ما يعتمدون في تعريف ما يريدون عليها(٨٣).

توظيفه للسياق في درس قرينة الأداة:

وإذا كانت المعاني التي تعبر عنها الأدوات وظيفية لا معجمية، فإنّما هي علاقات في السياق لا تكتسب إلا منه، فلا بيئة للأدوات خارج السياق، بل لنقل لا معنى للأدوات خارج السياق، فمعنى الأداة هو استعمالها، ومن هنا وجدنا النحاة يعددون المعاني المختلفة للأداة الواحدة، حيث يختلف المعنى باختلاف التركيب والسياق الذي ترد فيه.

ونشير في هذه المباحثة إلى أنّ معاني الأدوات درس عسير، ولعله ينبني على فرض معنى على حرف في سياق

التركيب أشياء كثيرة، ومن ذلك "الفاء" في قولهم: "ما تأتيني فتحدثني"[٨٤] فبتباين وجه التقول على الفاء يتباين المعنى تبايناً جلياً، ويتباين إعراب الفعل «تحدثني» أيضاً، ذلك أنّه يجوز الرفع على وجهين، والنصب على وجهين، فإذا كانت «الفاء» عاطفة وجب الرفع: «ما تأتيني فتحدثُني»، وعندها يشترك الفعلان في النفي، والمعنى: ما تأتيني وما تحدثُني.

وإذا كانت الفاء للاستئناف تعيّن الرفع، وتباين المعنى المبني على معنى (فاء) الاستئناف عن المعنى المبني على معنى (فاء) العطف، فالفعل الثاني(تحدثني) في هذا السياق- سياق الاستئناف - مثبت لا منفي، والتقدير: ما تأتيني، وأنت تحدثني الآن. وقد ينصب الفعل (تحدثني)، والفاء سببية، وله معنيان: أولهما: نفي السبب: أما تأتيني، فينفي المسبب: فأنت تحدثني، وثانيهما: نفي الثاني فقط، والمعنى: منك إتيان كثير، ولا حديث منك[٨٥].

ولعل في هذا المثال بياناً عن جدل التأثر والتأثير الواقع بين حروف المعاني والسياق البنيوي.

إذن فقد عرف النحاة للأدوات أهميتها في الدرس النحوي وارتبطت دراستها بوظائفها، كما ارتبطت بدلالاتها وسياقها فالحال الداعية إلى تعدد معنى الأداة والمسوغة له هو السياق وليس الأمر متروكاً على عواهنه غير مقيد بقيد السياق، لذا يقول ابن جني: « يقولون إنّ « إلى» تكون بمعنى «مع» ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿من أنصاري إلى الله﴾[٨٦]، أي: مع الله، ويقولون إنّ «في» تكون بمعنى»على» ويحتجون بقوله عز اسمه ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾[٨٧] أي: عليها، ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، ولكنا نقول إنّه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأمّا في كل موضع، وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا لا مقيداً لزمك أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد معه، وأن تقول: زيد في الفرس، وأنت تريد عليه[٨٨].

وكثيراً ما يتوقف فهم دلالة بعض الأدوات في التركيب بدقة على مدى الإحاطة بالسياق الاجتماعي أو الثقافي أو الديني أو غير ذلك من السياقات الخاصة بالجماعة اللغوية، يؤكد ذلك قولنا: تزوج هنداً أو أختها، فلا يستطيع أحد من خلال ظاهر التركيب أن يجزم بدلالة محددة ل» أو» أهي للإباحة أم للإبهام أم للتخيير، أم غير ذلك ؟ إذ كل الاحتمالات قائمة وممكنة، ولا يوجد في ظاهر التركيب ما يرجح احتمالا على غيره، وهنا تظهر قيمة « سياق الحال» في إزالة الإبهام وحسم الدلالة، إذ يتعين بمقتضاه كون «أو» في التركيب للتخيير ليس غير، ولا يمكن أن تكون للإباحة، لأنّ الإباحة يجوز فيها الجمع بين الأمرين، والاقتصار على أحدهما[٨٩]، والجمع بين الأختين محرم شرعاً، فتعين كونها للتخيير، وعندئذ يكون السياق الديني الموجود في المجتمع هو المحدد لدلالة « أو» ومن ثم يرتفع اللبس الذي يعتور مثل هذا التركيب.

الدلالة النحوية عند ابن جني:

هي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعاً معيناً في الجملة حسب قوانين اللغة، حيث كل كلمة في التركيب لا بد أنّ يكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها.

وإذا كان تشومسكي «Chomsky» يرى أنّ معنى الجملة يمكن فهمه من خلال العلاقات فيها[٩٠]، فإنّ ابن جني قد أدرك هذه الفكرة بجلاء في وظيفة الإعراب الدلالية.

والإعراب كما هو معروف مظهر لفظي خارجي للعلاقات الداخلية المعنوية في التركيب النحوي، يقول ابن جني في شأن الإعراب: «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت: أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمتَ برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً[٩١] واحداً لاستبهم أحدهما عن صاحبه «[٩٢].

وقد قدم ابن جني في المحتسب نظرات قيمة في الدلالة النحوية، ففي توجيهه لقراءة يزيد البربري للآية الكريمة: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾[٩٣]. يقدم دراسة لنظام الجملة في العربية، وما يكمن من وراء تغيير هذا النظام من دلالات وظيفية أو معنوية، فيقول: «ينبغي أن يُعلم ما

أذكره هنا، وذلك أنّ أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، ك»ضرب زيد عمراً»، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه علي الفاعل، ك»ضرب عمراً زيدٌ»، فإنّ ازدادت عنايتهم به، قدموه علي أنّه ربُّ الجملة، وتجاوزوا حد كونه فضلة، ثم زادوا علي هذه الرتبة، فقالوا: عمروٌ ضرب زيدٌ، فحذفوا ضميره ونوّنوه ولم ينصبوه علي ظاهر أمره، رغبة به عن صورة الفضلة، وتحامياً لنصبه الدال علي كون غيره صاحب الجملة، ثم أنّهم لم يرضوا بهذه المنزلة، حتى صاغوا الفعل له، وبنوه علي أنّه مخصوص، وألغوا ذكر الفاعل مُظهراً أو مُضمراً، فقالوا: ضُرب عمروٌ، فاطرح ذكر الفاعل البتة. نعم وأسندوا بعض الأفعال إلي المفعول دون الفاعل البتة وهو قولهم: أولعتُ بالشيء، ولا يقولون أولعني به كذا، وقالوا: ثُلِج فؤاد الرجل، ولم يقولوا: ثلجه كذا، وامتقع لونه، ولم يقولوا: امتقعه كذا. وهذا كله يدل علي شدة عنايتهم بالفضلة، وإنّما كانت كذلك؛ لأنّها تجلو الجملة وتجعلها تابعة المعني لها. فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة حتى ألغوا حديث الفاعل معها وبنوا الفعل لمفعوله، فقالوا: ضُرب زيدٌ، حسُن قوله تعالي: ﴿وعُلّم آدم الأسماء كلها﴾ لما كان فيه، أنّه قد عرفها وعلمها، وأنس أيضا علم المخاطبين بأنّ الله تعالي هو الذي علّمه إياها بقراءة من قرأ: ﴿ وعُلّم آدمُ الأسماء كلها﴾(٩٤).

وهكذا يحدد ابن جني نظام الجملة، وما يصيبها من تغيرات لتؤدي المعني المقصود، والدلالة الدقيقة، حتى أنّ الفضلة تُقّدم علي باقي عناصر الجملة، وتقام علامات جديدة فيما بينها، فيحذف الفاعل – أحياناً – والقصد من وراء ذلك كله، الوصول إلي الأمر الأهم، وبيان أنّ المعني في هذا الوضع مثلاً أكثر وضوحاً من غيره. كل ذلك بفضل السياق اللغوي الذي يتيح للمرء أن يقدم ويؤخر ويحذف تبعاً للدلالة التي يريدها.

المحور الرابع

السّياق الحالي أو المقامي عند ابن جني

يُعد ابن جني رائداً لنظرية السياق، خاصة سياق الحال، فالأصالة في هذا المجال – كما يري البعض – وكما يقرره الواقع إنما هي له، وليست للغوي الإنجليزي firth) (يقول ابن جني: «والذي يدل علي أنّهم قد أحسوا، وأرادوا ما أردنا – يقصد اللغويين القدماء _ وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم من إرادته وقصده شيئان:

إحداهما: حاضر معنا والآخر، غائب عنا، إلا أنّه مع أدني تأمّل في حكم الحاضر معنا. فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب من وجوهها وتضطر إلي معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفافها شيئاً أو استثقالها، وتقبّله أو إنكاره، والإنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب بقائله وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة علي ما في النفوس «(٩٥).

فكأن ابن جني يستعين في إستبيانه عما قصدته العرب بما يشاهده من أحوال المتكلمين ووجوههم، ممن أتيحت له رؤيتهم في أثناء حديثهم، أو نستعين نحن بما نقله العلماء عن أحوال المتكلمين وسجلوه عمن لم يحضر حديثهم.

فهذه العبارة السالفة تصدق علي ما يعنيه فيرث firth، بالحدث غير الكلامي للمشاركين، بل إن في كلام ابن جني وضوحاً وتفصيلاً أكثر، خاصةً حين يقول: « الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة علي ما في النفوس». وكعادة ابن جني في توضيح أفكاره يستشهد لها فيردف قائلاً: « ألا تري إلي قوله»(٩٦).

تقول وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس (٩٧)

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس « من غير أن يذكر صك الوجه، لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكرة، لكنه لما حكي الحال، « وصكت وجهها « علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها. هذا مع انك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين»(٩٨).

وما أستشهد به ابن جني يتضمن أمرين:

أولهما: الحدث الكلامي المتمثل في السياق الصوتي، أي: النغمة المتعجبة المنكرة التي صدرت منها، وهي قولها: « أبعلي هذا..» أي: تستنكر هذا الأمر.

وأما ثانيهما: فهو الحدث غير الكلامي، وهو سياق الحال، المتمثل في قول الشاعر: « وصكت وجهها بيمينها ». ولم يكتف ابن جني بذلك، بل رأى أنّ الحال المشاهدة، أي: الحدث غير الكلامي، يمكن أن ينوب عن اللفظ، ويكون له تأثيره في بيان المعاني النحوية، التي تترتب عليها المعاني الدلالية، كقوله: « ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة، ومن ذلك، تري رجلاً، قد سدد سهماً نحو الغرض ثم أرسله، فتسمع صوتاً فتقول: القرطاس والله، أي: أصاب القرطاس». وأصاب في حكم الملفوظ به البتة، ولم يوجد في اللفظ، غير أنّ دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به. وكذلك قولهم لرجل مهوٍ بسيف في يده: زيداً، أي: أضرب زيداً، وصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به»[٩٩].

فالحال المشاهدة وهو إرسال السهم، والهوى بالسيف، حدثان غير كلاميين، نابا مناب الحدث الكلامي، لأنهما جزء من سياق الحال، فاستغنى بهما عن الفعل الناصب، إذ كانت لهما نفس الدلالة، وبالتالي نفس العمل. وتأكيداً علي شدة تعلقه واهتمامه بهذه الحالة السياقية، يُنهي ابن جني كلامه في صورة أمنية لو تحققت لكان الغناء فيها عن كثير من الكلام، إذ يقول: « فليت شعري، إذا شاهد أبو عمرو، وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسي بن عمر، والخليل وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد وخلف الأحمر، والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد من تلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات فتضطر إلي قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف علي غرض دلته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه، غير متهم الرأي والنحيزة والعقل »[١٠٠].

فالإشارة جزء من السياق و ما تصاحبها، أي: الحدث غير الكلامي، أو بعبارة أخري، سياق الحال، وما يتصل به أبلغ عنده من العبارة، أي: الحدث الكلامي، حتى لو شفعت هذه العبارة بأغلظ الإيمان.

الخاتمة والنتائج:

لم تغب ظاهرة السياق ببعديها المقالي والمقامي على عالمنا مناط الدراسة، ففي محور السياق الصوتي، فقد طرح الموضوع وبثّه في كتابه سر صناعة الإعراب إذ تناوله بنحو من التأسيس واضعاً له مصطلحات عدة منها: التركب والمجاورة، والتأليف والاجتماع، والمزج ؛ فتطرق إلى السياق الصوتي من زاوية الخفة والثقل مستنداً على ترتيب سياق البنية ونوعية أصوات تلك البنية، ومَثّل لذلك بأمثلة كثيرة، مؤكدا أنّ ثقل بعض الأبنية لا يعود إلى عدد أصوات البنية، بل إلى نوعية الأصوات وترتيبها داخل السياق، فلو استبدلنا الصوغ بصوغ آخر مشكلاً من أصوات مختلفة وبترتيب سياقي مختلف، لانتفى حكم الثقل وحل محله الخفة.

أما السياق في الدرس الصرفي وقد لاحظ ابن جني أنّ في كثير من الصيغ الصرفية فروقاً في الدلالة في حالة زيادة مورفيم في أول الصيغة، أو في وسطها، أو علي الجذر الأصلي.

وقد استطاع أن يدرك كثيراً من القيم الصرفية ذات الوظيفة الدلالية المطردة، التي تنمّ عن فهم عميق للتغيرات الصرفية التي تتعاور الكلمة من أجل الأغراض الدلالية.

كما استطاع ابن جني أن يكشف العلاقات الداخلية بين المفردات التي يتألف منها التركيب، وجعل المعني أساس صحة التركيب النحوي وقبوله، ورأي أنّ اللفظ مفرداً لا يشكل قيمة دلالية، ولا نستطيع تقييمه منفرداً بعيداً عن السياق اللغوي الذي ورد فيه، كما أنّ تأليف الكلام ونظمه علي قواعد النحو، ليس أساسا في صحة المعنى، بل الأساس هو اتساق التركيب في المعني مع قواعد التركيب.

فالتفاعل بين الكلمات، ووظائفها النحوية في الجملة تفاعل دلالي نحوي معاً، فبين الجانبين تعاون مشترك وتبادل تأثير

وهذه عودة إلى توظيف السياق في الدرس النحوي توظيفاً عملياً معاصراً يعتمد في دوره على الدلالة وما تؤديه من أغراض تواصلية في المجتمع.

أما السياق الحالي أو المقامي فيُعد ابن جني رائداً في هذا المضمار، خاصة سياق الحال، فالأصالة في هذا المجال – كما يري البعض – وكما يقرره الواقع إنما هي له، وليست للغوي الإنجليزي firth) (، فقد كان ابن جني يستعين في استبيانه عما قصدته العرب بما يشاهده من أحوال المتكلمين ووجوههم، ممن أتيحت له رؤيتهم في أثناء حديثهم، أو يستعين بما نقله العلماء عن أحوال المتكلمين وسجلوه عمن لم يحضر حديثهم، وبالتالي توصل إلى الدلالة المقصودة والمرادة في أدق تفاصيلها.

المراجع والمصادر

١- إبراهيم أنيس، دكتور. دلالة الألفاظ.ط٥، القاهرة مكتبة الانجلو. ١٩٨٤.

٢- إبراهيم أنيس، دكتور. الأصوات اللغوية، القاهرة، ١٩٦١ م.

٣- إبراهيم مصطفي وآخرون. المعجم الوسيط.

٤- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي البغدادي ٣٣٠-٣٩٢.

٥ - المحتسب في تبيان وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي، المجلس الاعلي للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٨ – ١٩٦٩، ط٢.

٦- ابن جني- الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٤٠٦ -١٩٨٦.

٧- ابن جني - المنصف في شرح كتاب التصريف. تحقيق: إبراهيم مصطفي، وعبد الله أمين، ط١ عيسي البابي الحلبي.

٨ - ابن جني - اللمع في العربية. تحقيق: حامد المؤمن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط.م ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م ١٩٥٤.

٩- ابن جني - سر صناعة الإعراب. تحقيق: مصطفي السقا وزملائه، دار الثقافة العامة بوزارة المعارف، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، ط.

١٠- ابن منظور. لسان العرب، مادة صوت. دار صادر، بيروت.

١١- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر. تحقيق الدكتور: احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض ط٢ ١٤٠٣.

١٢- ابن سينا. الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله، المتوفى: سنة ٥١٥هـ. أسباب حدوث الحروف. تصحيح ونشر محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٣٢٨ هـ.

١٣- ابن يعيش، موفق الدين بن علي (ت ٦٤٣). شرح المفصل، بيروت عالم الكتب، القاهرة، مكتبة المتنبئ.

١٤- تمام حسان، دكتور. - اللغة العربية معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط ١٩٧٧، القاهرة. - مناهج البحث في اللغة. الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٤٠٠ ه، القاهرة، ١٩٥٥ م.

١٥- احمد مختار عمر، دكتور. الصوت اللغوي. عالم الكتب القاهرة، ١٩٧٦.

١٦- الاخفش الأوسط) سعيد بن مسعدة المجاشعي المتوفى ٢١٥ هـ. معاني القران. تحقيق: فائز فارس، دار البشير، دار الأمل، ط٣ ١٤٠١-١٩٨١

١٧- برجستراسر. التطور النحوي للغة العربية، ط٢، م١٩٩٤، القاهرة.

١٨- البغدادي، عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب ولب لباب العرب، دار الثقافة، بيروت.

١٩- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن النحوي ت ٤٧١ هـ. دلائل الإعجاز. تعليق: احمد محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ط٢، ١٤١٠ – ١٩٨٩م.

٢٠- الرضي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي. شرح الكافية ن جامعة قار يونس، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر طرابلس.

٢١- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسي ٣٨٤. النكت في إعجاز القران. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران « تحقيق: محمد خلف الله.ود محمد زعلول سلام دار المعارف بمصر ط٢ ١٣٨٧.

٢٢- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسي ٣٨٤. معاني الحروف. تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٣ جدة، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م.

٢٣- الزجاج، أبو اسحق إبراهيم بن محمد ت ٣١١ هـ. معاني القران وإعرابه، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، علم الكتب، ط١ ١٤٠٨.

٢٤- سمير شريف استيتة، دكتور. اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ١٤٢٥هـ - ٢..٥م.

٢٥- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ١٤٨ – ١٨٠هـ. الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٦- عبد القادر عبد الجليل, دكتور. الأسلوبية وثلاثية الدوائر

البلاغية دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١ ٢٠٠٢ ١٤٢٢

٢٧- عبد القادر عبد الجليل, دكتور. علم اللسانيات الحديثة. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان , الأردن، ط١ ٢٠٠٢. ١٤٢٢ ه-علم الصرف الصوتي. أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨، الأردن، عمان.

٢٨- عبد الكريم مجاهد، دكتور. الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، مركز العبدلي التجاري.

٢٩- عبده الراجحي، دكتور. النحو العربي والدرس الحديث. مطبعة دار نشر الثقافة، ١٩٧٧.

٣٠- الفارابي. كتاب الموسيقى الكبير.

٣١- الفراء، يحي بن زياد بن عبد الله.. معاني القران للفراء: تحقيق محمد علي النجار، و أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣- ١٤٠٣هـ.

٣٢- كمال محمد بشر، دكتور. -علم اللغة الاجتماعي. دار غريب، ط٣ القاهرة

٣٣- كمال محمد بشر، دكتور. التفكير اللغوي بين القديم والحديث القاهرة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٨٩ م.

٣٤- كمال محمد بشر، دكتور. علم اللغة العام – الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠ م

٣٥- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب، بيروت.

٣٦- المبرد. الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، ط١ ١٤٢٠ – ١٩٩٩.

٣٧- محمود عكاشة، دكتور. التحليل اللغوي في ضوء علم اللغة، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م،

٣٨- محمود السعران، دكتور. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، جامعة حلب، ١٩٩٤م،

٣٤- محمد الأنطاكي. الوجيز في فقه اللغة. مكتبة دار الشرف، ١٣٨٩ ه بيروت ط٣.

٣٥- محمد محمود داود.العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٣- ٢٠٠١م.

٣٦- المازني. المنصف في شرح التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، ١٣٣٧، ١٩٥٤ م، ط ١.

٣٧- المازني. المنصف في شرح كتاب التصريف. تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، ط١.عيسى البابى الحلبى، ١٩٥٤م.

٣٨- محمد زكي العشماوي، دكتور. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٤,٤، ١٩٨٤، ٨٣.

٣٩- محمد حماسة عبد اللطيف، دكتور. الجملة في الشعر العربي، مطبوعات الخانجي ١٩٩٠م.

٤٤- النحاس، أبو جعفر احمد بن محمد. أعراب القران، تحقيق: زهيرغازى زاهد، عالم الكتاب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ط٣، ١٩٨٨ م ١٤٠١هـ

النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعني النحوي الدلالي، القاهرة، ١٤٠٣ هـ

٤٥- يحي بن حمزة العلوي.الطراز المتضمن « أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» دار الكتب العلمية، ج١، بيروت.

الهوامش

١ د. كمال بشر. علم اللغة الاجتماعية. دار غريب، ط٣، القاهرة، ص: ٧٤

٢ انظر: محمد زغلول، أثر القرآن الكريم على النقد العربي، ص: ١,٨

٣ سر صناعة الإعراب، ٥/١، ٦٥، ٨١١/٢، ٨١٦.

٤ يحي بن حمزة العلوي.الطراز المتضمن « أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» دار الكتب العلمية، ج١، ص:١,٧، بيروت.

٥ د. سمير شريف استيتة. اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص:٦٢.

٦ إبراهيم أنيس- الأصوات اللغوية، ص:١٢٦

٧ ابن جني. الخصائص، ٢٢٧/٢.

٨ د. مختار عمر. الصوت اللغوي، ص:٣٣

٩ د.أنيس. الأصوات اللغوية، ص:١٥٢

١٠ سيبويه. الكتاب، ص:٤٢٤/٤

١١ ابن جني. الخصائص، ٢٣١/٢

١٢ في قول امرئ القيس: غدائره مستشزرات إلى العلى تضل المدارى في مثنى ومرسل

١٣ سر صناعة الإعراب، ابن جني، ٥/١، ٦٥، ٨١١/٢، ٨١٦، ٨٦٢. وانظر ابن الأثير، المثل السائر، ٢٦٤/١ -٢٦٦.

١٤ الخصائص:١٣٩/٢-١٤٥.

١٥ لسان العرب: دغم:٢,٣/١٢

١٦ شرح المفصل، ١٢١/١.

١٧ الخصائص، ٤١/٢

١٨ المنصف، ٩/١.

١٩ اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٧٩/٥

٢٠ انظر: الكتاب، ٣٣١/٤

٢١ انظر: الكتاب، ٤٣٧/٤

٢٢ الخصائص:١٣٩/٣

٢٣ علم اللغة العام – الأصوات، ١٦٣. وانظر: الصوت اللغوي، ص:١٩٤.

٢٤ الخصائص، ٣٧١/٢.

٢٥ سورة الشعراء الآية:٢٢

٢٦ معاني القرآن، وانظر مغني اللبيب:١٥/١

٢٧ سورة الأنعام الآية:٧٦

٢٨ إعراب القرآن، ٣٥٢/١

٢٩ سورة الممتحنة الآية:١

٣٠ انظر: مغني اللبيب، ١٤/١

٣١ اللغة العربية معناها ومبناها، ص:٢٦٦

٣٢ د.محمود عكاشة. التحليل اللغوي في ضوء علم اللغة، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص:٥١.

٣٣ سورة يس الآية:٦.

٣٤ انظر: اللسان:١٨٩/٥

٣٥ انظر: دراسة الصوت اللغوي، ص:١٨٨. والمصطلح الصوتي، ص:٢٨.

٣٦ محمود السعران. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، جامعة حلب، ١٩٩٤م، ص:١٨٩

٣٧ برجستراسر.التطور النحوي للغة العربية، ط٢، م١٩٩٤، القاهرة، ص:٧٢.

٣٨ عبد القادر عبد الجليل. اللسانيات الحديثة، ص:٣٦٢.

٣٩ الخصائص، ١٢٣/٣، ١٢٩

٤٠ محمد الأنطاكي. الوجيز في فقه اللغة، ص:٢٦٣.

٤١ اللغة العربية معناها ومبناها، ص:٣,٤

٤٢ انظر: الوجيز في فقه اللغة، ص: ٢٦٣.

٤٣ الخطابة، ابن سيناء، نقلا عن التفكير اللساني، ص:٢٦٦.

٤٤ سورة الدخان الآية:٤٩

٤٥ سورة الأنعام الآية:٣.

٤٦ سورة التوبة الآية:٦٥

٤٧ سورة الأعراف الآية:١٦

٤٨ لسان العرب:٣٧٨/١٠.

٤٩ أنظر: الخصائص: ٢/ ١٥٢، ١٦٨

٥٠ ابن جنى. الخصائص: ٣ / ١٠..

٥١ نفس المصدر: ٣ / ١٠..

٥٢ نفس المصدر: ٣ / ١,١

٥٣ أنظر سيبويه، الكتاب: ٣ / ١٧٤ – ١٧٥. وأنظر: المقتضب، ٣ / ٢٩٤ – ٢٩٥

٥٤ انظر: خزانة الأدب:٦/٢.. خزانة الأدب - (ج ٤ / ص ١٣١) يريد: أو ذو الشيب يلعب.

٥٥ سّمّتْ الدراسة اللاصقة بالمورفيم.

٥٦ د.محمود السعران.علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:٢٢٣. وانظر:تمام حسان.مناهج البحث في اللغة، ص:١٧.

٥٧ الخصائص:٩٨/٣.

٥٨ د.عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، مركز العبدلى التجاري، ص: ١٨٧.

٥٩ أنظر الخصائص: ١ / ٢٢٥ – ٢٢٦، واللمع: ٩٢

٦٠ ابن جني.الخصائص:٢٢٤/١- ٢٢٥.

٦١ المازني. المنصف في شرح التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، ١٣٣٧، ١٩٥٤ م، ط ١، ج١ / ٤

٦٢ الخصائص: ١ / ٢٤٤

٦٣ ابن جني. سر صناعة الإعراب. تحقيق: مصطفي السقا وزملائه. دار الثقافة العامة بوزارة المعارف، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، ط. ١ / ٤٢، ٤٣، ٤٤

٦٤ البقرة: ٢٨٦.

٦٥ الخصائص: ٢٢٤/١.

٦٦ الفرقان: ٦٧

٦٧ أنظر: المحتسب: ٢ / ١٥٢ «النكت والعيون - (ج ٣ / ص ٢,٨) والفرق بين القَوام بالفتح والقِوام بالكسر، ما قاله ثعلب: أنه بالفتح الاستقامة والعدل، وبالكسر ما يدوم عليه الأمر ويستقر.» «معاني القرآن - (ج ٥ / ص ٤٩) «أدب الكتاب لابن قتيبة - (ج ١ / ص ٦٦)

و « القَوَام « العَدْل، قال الله عزّ وجلّ:)وكانَ بَيْنَ ذلكَ قَواماً(و « قَوام الرجل « قامته، و « القِوام « - بكسر القاف - ما أقامَكَ من الرزق، ويقال « أصبت قِوَاماً من عيش « و « ما قِوَامي إلا بكذا «

فالقوام بالفتح الاستقامة والعدل كما قال لبيد: واحب المجامل أو بالجزيل وصرمه باق إذا ضلعت وزاغ قوامها

٦٨ أنظر الخصائص: ٢/٣,٢.٢.

٦٩ النساء: ٣٤، وقراءة الجماعة: « فالصالحات قانتات حافظات للغيب «

٧٠ المحتسب: ١ / ١٨٧.» خزانة الأدب - (ج ٣ / ص ١٤٣)

وكذلك قول ابن جني في المحتسب عند قراءة طلحة من سورة النساء: « صوالح قوانت حوافظ للغيب «. قال أبو الفتح: التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى، وذلك أنه إنما يراد هنا معنى الكثرة لا صالحات من الثلاث إلى العشر. ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلة بمعنى الكثرة، والألف والتاء موضوعتان للقلة، فهما على حد التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كانوا على حد الزيدان.

هذا موجب اللغة على أوضاعها، غير أنه قد جاء لفظ الصحة والمعنى الكثرة كقوله تعالى: « إن المسلمين والمسلمات «. إلى قوله: « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات « والغرض في جميعه الكثرة لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة، وكان أبو علي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره، وأنه لما صار إلى قوله: لنا الجفنات الغر.........البيت

قال له النابغة: لقد قللت جفانك وسيوفك! قال أبو علي: هذا خبر مجهول لا أصل له، لأن الله تعالى يقول: « وهم في الغرفات آمنون « ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر.»

٧١ إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ: ٤٧

٧٢ كمال بشر. دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص: ٦٤

٧٣ انظر: الخصائص: ٣/ ٩٩

٧٤ انظر: دلائل الإعجاز: ٨١ -٨٢

٧٥ انظر: محمد حماسة. النحو والدلالة، ص: ٨٥. والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص: ١٢٥

٧٦ انظر: دلائل الإعجاز: ٦٥

٧٧ د. محمد زكي العشماوي. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٤,٤، ١٩٨٤، ٨٣.

٧٨ د. محمد حماسه عبد اللطيف. الجملة في الشعر العربي. مطبوعة الخانجي، ١٩٩.، ص: ٢١٨ – ٢١٩

٧٩ اللغة العربية معناها: ١٨٩

٨٠ الخصائص:٣٥/١.

٨١ المازني، المنصف في شرح كتاب التصريف. تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، ط١.عيسى البابى الحلبي، ١٩٥٤م، ص:٢٥٢/١.

٨٢ نفس المصدر:٢٥٣/١.

٨٣ المصدر السابق:٢٥٥/١.

٨٤ الكتاب: ٣/ ٣.- ٣١.

٨٥ الكتاب - (ج ١ / ص ١٨٣)

واعلم أنّ ما ينتصب في باب الفاء قد ينتصب على غير معنى واحد، وكلّ ذلك على إضمار أن، إلاّ أنّ المعاني مختلفة، كما أنّ يعلم الله يرتفع كما يرتفع يذهب زيد، وعلم الله ينتصب كما ينتصب ذهب زيد، وفيهما معنى اليمين.

فالنصب هاهنا في التمثيل كأنك قلت: لم يكن إتيان فأن تحدّث والمعنى على غير ذلك، كما أنّ معنى علم الله لأفعلنّ غير معنى رزق الله. فأن تحدّث في اللفظ مرفوعة بيكن؛ لأنّ المعنى: بم يكن إتيان فيكون حديث.

وتقول: ما تأتيني فتحدّثني، فالنصب على وجهين من المعاني: أحدهما: ما تأتيني فكيف تحدّثني، أي لو أتيتني لحدّثتني.

وأما الآخر: فما تأتيني أبداً إلاّ لم تحدّثني، أي منك إتيان كثير ولا حديث منك.

وإن شئت أشركت بين الأوّل والآخر، فدخل الآخر فيما دخل فيه الأوّل فتقول: ما تأتيني فتحدّثني كأنك قلت: ما تأتيني وما تحدّثني.

فمثل النصب قوله عزّ وجلّ: « لا يقضي عليهم فيموتوا «. ومثل الرفع قوله عزّ وجلّ: « هذا يوم لا ينطقون. ولا يؤذن لهم فيعتذرون «.

وإن شئت رفعت على وجه آخر، كأنك قلت: فأنت تحدّثنا. ومثل ذلك قول بعض الحارثيين:

غير أنّا لم تأتنا بيقين... فترجّي ونكثر التأميلا

كأنه قال: فنحن نرجّي. فهذا في موضع مبنيّ على المبتدأ.

وتقول: ما أتيتنا فتحدّثنا، فالنصب فيه كالنّصب في الأوّل، وإن شئت رفعت على: فأنت تحدّثنا الساعة، وارفع فيه يجوز على ما.

٨٦ آل عمران: ٥٢. والصف:٤.

٨٧ طه:٧١.

٨٨ الخصائص:٢/٣,٩- ٣١..

٨٩ شرح الكافية:٣٧/٢..

٩٠ د. عبده ألراجحي. النحو العربي والدرس الحديث. مطبعة دار نشر الثقافة، ١٩٧٧، ص: ١٤٢

٩١ شرجا: نوعا

٩٢ الخصائص: ١ / ٣٦

٩٣ البقرة: ٣١ « المحرر الوجيز - (ج ١ / ص ٥٣)
قرأ اليماني: » وعُلِّم « بضم العين على بناء الفعل للمفعول، » آدمُ « مرفوعاً.
قال أبو الفتح: » هي قراءة يزيد البربري»

٩٤ سورة البقرة: ٣١

٩٥ أبو الفتح عثمان بن جني. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ج١/ ٢٤٦، ١٤,٦ – ١٩٨٦

٩٦ يقصد الشاعر نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي «العقد الفريد - (ج ١ / ص ٣.) وتمام الأبيات:

تقول وصكت وجهها بيمينها... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها لا تعجلي وتبيني... بلائي إذا التفت علي الفوارس
ألست أرد القرن يركب ردعه... وفيهن سنان ذو غرارين نائس
إذا هاب أقوام تقحمت غمرة... يهاب حمياها الألد المداعس
لعمر أبيك الخير إني لخادم... لضيفي وإني إن ركبت لفارس»

٩٧ المتقاعس: الذي يدفع صدره إلي الأمام والخلف بصورة متوالية.وهو: قول العنبري لما ازدرته امرأته ورأته يطحن،

٩٨ ابن جني. الخصائص: ١ / ٢٤٦

٩٩ ابن جني.الخصائص: ١ / ٢٦٥، ٢٨٥.

١٠٠ المصدر نفسه: ١ / ٢٤٩